Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذن فكل المقدمات فى الشعر الجاهلى ذات دلالة ، ولكن هذه الآراء تغلب عليها مراعاة قلة قليلة من القصائد ، ولا أعلم بحثاً حاول أن يتتبع كثرة غالبة من المقدمات ، بل ولا أن يتتبع حتى نماذج وأمثلة لكثرة غالبة من الأغراض أو من الشعراء ، ليكون حكمه على المقدمات ممثلاً للغالبية من القصائد أو الشعراء ، أو على الأقل لنطمئن من خلال تعدد الأمثلة إلى أن هذه الأحكام تمثل ظاهرة شائعة أو واضحة فى الشعر القديم .

على أن هذا التعميم فى الأحكام جعلهم فى أغلب الأحيان ينظرون نظرة كلية يحكمون من خلالها أحكاماً توحى بأنها تنطبق على كل قصيدة من أفراد هذا الكل أو المجموع ، مع أن الحكم على الكل كما سبقت الإشارة إلى ذلك كثيراً ما يختلف عن الحكم على أجزاء هذا الكل ، فنحن نقول إن هذه الزهرة جميلة ، ولكن إذا فصلنا أجزاءها بعضها عن بعض لا نستطيع أن نصف كل جزء منها بالجمال الذى وصفنا به الكل وهو الزهرة ، ونقول هذا القصر جميل ، أو هذا الثوب جميل ، ولكننا إذا فصلنا أجزاءه بعضها عن بعض ، أو نظرنا إلى كل جزء منفصلاً عن الآخر ، لا نستطيع أن نصف كل جزء بالجمال الذى وصفنا به الكل ، وهذا المعنى هو ما أراده الجرجانى فيما سبق حديثه من أننا نصف العقد بالجمال ، ولكن إذا فصلنا حباته بعضها عن بعض لا نستطيع أن نصف كل قطعة أو حبة بالجمال الذى وصفنا به الكل وهو العقد ، وهذا ما عناه من نظرية النظم التى تتضمن أن من أهم أسس جمال التعبير هو مجرد إجادة نظم الكلام أو تنسيقه حتى يتكون من ألفاظه المفردة مجموع يوصف بأنه جميل .

وإذا أردنا مثالاً على أن النظرة الكلية أو نظرة التعميم الذى اعتمدت عليها الآراء السابقة حالت دون التأمل فى المطالع أو المقدمات بوصفها فرادى ، فهو المطلع المشهور للنابغة الذبيانى ، والذى تكاد تتفق الآراء على أنه أجود المطالع :

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصب وليل أُقاسيه بطيء الكواكب

ومع ذلك إذا عرضناه على كل هذه الآراء والاتجاهات المعنية بالمطلع والمقدمة سواء فى القديم والحديث نجده لا يستقيم مع واحد منها ، لسبب يسير ، وهو أنهم جميعاً يعدونه من مطالع الغزل لمجرد أن الشاعر يخاطب به امرأة ، والواقع أنه ليس من